

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالسَّمَاةِ

The Use of Strange Words between Necessity and Ugliness

خالد ضو¹

¹ جامعة الجزائر-1 (الجزائر) / k.dou@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/06 تاريخ القبول: 2023/05/13 تاريخ النشر: 2023/06/4

ملخص:

يدرس هذا البحث جدلا لغويا مهما بين التفعيل والترك لاستعمال الغريب في الكلام، ويهدف إلى بيان أسباب العزوف عن استعمال بعض الألفاظ حتى صارت غريبة، مع التشجيع على استعمالها للمحافظة عليها، كما يهدف إلى بيان مبررات الحاجة إلى استعمال الغريب ومظاهر القبح في استعماله، وذلك بالتمييز بين التفعيل الإيجابي والسلبي لهذه الظاهرة من خلال بعض النماذج، ومن أهم نتائج البحث أنّ الغريب من الألفاظ يُطلق على ما لا يُفهم معناه، وعلى ما كان سمجًا متروكا لسوء تركيب أو معنى، ويكون توظيف الغريب في الكلام أمرا إيجابيا مطلوبًا، يحفظه من الاندثار، ويجذب المتلقي ويثري رصيده اللغوي والثقافي، إذا لم يكن مستهجنًا لفظًا أو معنى، وكان مناسبًا للمستوى العمري والتعليمي للمتلقي، وكان معه ما يفك غموضه، ويكون استعمال الغريب في الكلام أمرا سلبيًا إذا خالف الشروط المذكورة، أو كان مبالغًا فيه للتعجيز. كلمات مفتاحية: غريب الألفاظ؛ التقعر في الكلام؛ حفظ القاموس؛ الرصيد اللغوي.

Abstract:

This research studies a linguistic debate between activation and abandonment of the use of strangers in speech. It aims to explain the reasons for leaving out the use some words until it became strange, with encouragement to use it for preserve it. It

also aims to explain the justifications for the need to use the stranger and the manifestations of ugliness in using it, by distinguishing between the positive and negative activation of this phenomenon through some models. Among of the most important results of the research is that strange word is what does not understand its meaning, and what was ugly for bad structure or meaning. Activation the stranger in speech is a positive and desirable matter; save it from extinction, and it attracts the recipient and enriches his linguistic and cultural balance, if it is not reprehensible in word or meaning, and it was suitable for the age and educational level of the recipient, and the speaker explains it to decipher it. In contrast, the use of strangers in speech is a negative matter if it violates the aforementioned conditions. Or it was exaggerated to incapacitate.

Keywords: strange words; difficult speech; preserving the dictionary; linguistic culture.

المؤلف المرسل: خالد ضو

1. مقدمة:

تتفرع ألفاظ اللغة العربية حتى لا تكاد تُحصى وإن أحصيت جذورها، وتختلف هاته الألفاظ في الاستعمال، فبعضها مشهور وبعضها مغمور، وبعضها مألوف وبعضها غريب، وكلما تغير الزمان واختلط الناس اشتهرت ألفاظ وانغمرت أخرى مع اختلاف الأسباب والمعايير.

كثير من الألفاظ العربية الفصيحة والدقيقة صارت اليوم غريبة وغير مشهورة لقلة استعمالها أو لطغيان بعض المفردات عليها، وفي هذا البحث دعوة

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَاظِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالسَّامَةِ

إلى إعادة إنعاشها وتوظيفها من جديد، مع بيان مدى أهمية هذا التوظيف، وضبطه بجملة من الشروط ليحقق مقصده.

■ **أهمية الموضوع:** تتجلى أهمية هذا الموضوع في عدة نقاط يُذكر منها:

- كونه يعرض جدلاً يحاول الفصل فيه بقول وسط معلّل.
- تعلقه بشرائح مختلفة، من المعلمين والمتعلمين والمؤلفين والقراء وحتى العوام.
- إسهامه المباشر في دعم القاموس واللسان حفظاً ونطقاً.
- إشارته إلى سعة اللغة العربية ورصانتها وعمق معانيها.
- **إشكالية البحث:** ينطلق هذا البحث من الإشكال الآتي:
- ما ضوابط استعمال الألفاظ غير المشهورة حتى تحقق إضافة لغوية

للقاموس والمتلقي؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما المقصود بالغير من الألفاظ؟
- ما أسباب تغير المعجم الكلامي وهجر بعض الألفاظ؟
- متى يكون استدعاء اللفظ الغريب مظهرًا من مظاهر القبح في الكلام؟
- **أهداف البحث:** يهدف هذا البحث إلى الآتي:
- بيان أسباب العزوف عن استعمال بعض الألفاظ حتى صارت غريبة.
- التشجيع على استعمال الألفاظ الغريبة وقليلة الاستعمال للمحافظة عليها.
- بيان مبررات الحاجة إلى استعمال الغريب ومظاهر القبح في استعماله.
- التمييز بين التفعيل الإيجابي والسلبي لهذه الظاهرة من خلال بعض النماذج.
- **خطة البحث:** للإجابة على الإشكاليات والتساؤلات المطروحة، ولتحقيق أهداف المنشودة قُسم البحث في ثلاثة عناصر، تتقدمها مُقدِّمةٌ، وتليها خاتمة، وتفصيل عناصره كالآتي:

خالد ضو

1. مقدمة: فيها أهمية الموضوع وإشكاليته وأهدافه، وخطة تقسيمه، ومنهج دراسته.

2. المقصود بالغريب وأسباب هجر استعماله.

3. مبررات الحاجة إلى استعمال الغريب.

4. مظاهر السماجة في استعمال الغريب.

5. الخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع بعض الاقتراحات.

■ **مناهج البحث:** أنتُجَ في معالجة هذا البحث المنهج الوصفي؛ وذلك في بيان مدلول الغريب ووصف مظاهره إيجاباً وسلباً، وقد تمّ ذلك وفق آليتين اثنتين؛ التحليل والاستقراء، حيث قمنا بتحليل جملة من الأفكار والآراء المتعلقة بالموضوع لنصل من خلالها إلى التفرع الذي انتهجناه، واستقرأنا من خلال ذلك حكم استعمال الغريب وأثره وضوابطه.

2. المقصود بالغريب وأسباب هجر استعماله:

قَيّد موضوع البحث الغرابة المدروسة بقوله "الغريب من الألفاظ"، ولكن مع ذلك بقي المقصود بالغرابة واسعاً يحتاج ضبطاً وتقييداً، وهذا ما سيتم بيانه في هذا العنصر.

1-2. تحديد المقصود بالغريب في هذا البحث:

"الغريب" لفظ مشهور الاستعمال، وقد يدل على ما لم يفهم، أو ما قل استعماله، أو ما وقع في غير موضعه، وبعد تأصيله لغوياً سنبين أي الدلالات نقصدها هنا مع التعليل.

1-1-2. الغريب لغةً:

الغريب من الكلام: العُقَيْيُّ الغامضُ (الأزهري، 2001م، صفحة 118/8)، وتكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة، ومنه: مصنّف الغريب، وقول الأعرابي:

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَاظِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالسَّامَةِ

ليس هذا بغريب ولكنكم في الأدب غرباء (الزمخشري، 1998م، صفحة 697/1)، وهو من غَرِبَ يَغْرُبُ، غَرَابَةً، فهو غريب، وغَرِبَ الكلامُ، وغَرِبَ الأمرُ: غَمَضَ وخَفِيَ، وَبَعُدَ عن الفَهْمِ، يُقال: تكلَّم بكلام غَرِبَ عليّ ولم أفهمه، وغَرِبَ الشَّيْءُ: كان غيرَ مألوف ولا مأنوس. (عمر و آخرون، 2008م، صفحة 1601/2)

قد يُقال بما أنّ اللفظ الغريب لا يُفهم معناه فلماذا لا نستغني عنه ونأتي مكانه بما يُفهم، ونخرج من الإشكال، نقول إنّ هذه حيلة الضعفاء ومخرج من لا يتطلع للمزيد، وإلا لم لا نقول نوظّف من الألفاظ غير المشهورة ما كان منها مفيداً حسنَ المنطق والمعنى؛ لنعيد استعماله، ونوسع مدارك المخاطبين، ونحفظ قاموس لغتنا الرصين، وميراث الأدباء والفصحاء من أسلافنا، وقد كانت اللغة غداؤهم والبلاغة فاكهتهم، فكانوا أكثر منا إدراكاً لكلام الله تعالى وهو الذي قال فيه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:195]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:3]، وأكثر فهما لكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأطراهم لسانا.

قيل في هذا السياق إنّ رجلاً أنشد قوما شعرا فاستغربوه، فقال: والله ما هو بغريب، ولكنكم في الأدب غرباء، وقيل إن رجلاً أراد تبكيك أبا تمام الطائي لما أنشد في مجلس؛ فقال له: يا أبا تمام، لم لا تقول من الشعر ما يفهم؟ فقال له: وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال؟ ففضحه. (ابن رشيق، 1981م، صفحة 133/1)

1-2. أسباب ترك استعمال الغريب من الكلمات:

تضم اللغة العربية كمّاً لا بأس به من الألفاظ الغريبة، ولكن انغمَرَ كثير منها، واشتهر من الألفاظ ما كان مألوف الاستعمال دائراً في الكلام دون غيره، وقال ابن الأثير في ذلك كلاماً؛ مُلَخَّصه: أن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسبروا وقسموا، فاختراروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ولم

خالد ضو

يستعملوا القبيح منها، فحُسِّن الألفاظ سبب استعمالها دون غيرها، واستعمالها سبب ظهورها وبيانها، فالفصيح إذاً من الألفاظ هو الحسن، وأما وجه علمهم للحسن من الألفاظ حتى استعملوه، وللقبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه فلأنّ هذا من الأمور المحسوسة؛ إذ الألفاظ داخله في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح.

وضرب ابن الأثير لذلك مثلاً تطبيقياً أسقطه على ما نظّر إسقاطاً رائعاً فقال: "ألا ترى أنّ السمع يستلذّ صوت البلب من الطير، وصوت الشحرور، ويميل إليهما، ويكره صوت الغراب وينفر عنه، وكذلك يكره نهيق الحمار، ولا يجد ذلك في صهيل الفرس، والألفاظ جارية هذا المجرى، فإنه لا خلاف في أن لفظة "المزنة" و"الديمة" حسنةٌ يستلذها السمع، وأن لفظة "البعاق" قبيحة يكرهها السمع، وهذه اللفظات الثلاثة من صفات المطر، وهي تدل على معنى واحد، ومع هذا فإنك ترى لفظي "المزنة" و"الديمة" وما جرى مجراهما مألوفاً الاستعمال، وترى لفظ "البعاق" وما جرى مجراه متروكاً لا يستعمل، إلا إذا استعمله جاهل بالفصاحة، أو من ذوقه غير سليم". (ابن الأثير الكاتب، المثل السائر، (د.ت)، صفحة 91/1)

بناءً على ما ورد ذكره في العنصر نقول بأنّ العرب تركوا بعض الكلمات إما تركاً تاماً أو شبه تام وعبروا عنها بكلمات بسيطة تؤدي معناها، وتتعدد أسباب الترك كالاتي:

- الألفاظ قليلة الاستعمال حتى في زمن الفصحاء.
 - غرابة اللفظ إما لقلة استعماله أو لخصوصية بنائه.
 - وجود ألفاظ مرادفة أكثر شهرة واستعمالاً.
- بالنظر في الأسباب الثلاثة المذكورة نجد أنها وجهة جداً ولا يمكن مناقشتها بحال، لأن الغاية من اللغة هي التعبير عن المراد بما يفهمه المتلقي، وإذا وجدنا

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ يَنْبَغِي الْحَاجَةُ وَالسَّامَاةُ

لفظا مفهوما مستعملا سيكون أولى في التعبير من لفظ غريب لا يدرك الكثير قصده.

من المعلوم عند الجميع أنّ الغاية من التعبير هي إيصال الأفكار المعبر عنها للمخاطب، وكلما كانت الألفاظ دقيقة ومعلومة المعنى كلما أدت معناها، غير أنّ استدعاء الغريب في الكلام ليس أمرا سلبيا دائما، بل له بعض المزايا إذا كان ضمن حدود معينة.

3. مبررات الحاجة إلى استعمال الغريب:

إن الوجه الإيجابي لاستعمال الغريب يحمل عدة مقبلات تجعلنا ندعو إلى تفعيله، دون الغفلة عن المظاهر السلبية له والتي سنحاول الإحاطة بها لتجنبها، واستعمال الغريب من الألفاظ وقليل الاستعمال منها أمر مطلوب إذا انضبطت جملة من الضوابط، وفي تفاصيل هذا العنصر سنبين أسباب هاته الدعوة تفصيلا وتحليلا، ونضمنها الشروط ضبطا وتعليلا.

3-1. حفظ القاموس:

تعدّ اللغة العربية أكثر اللغات ألفاظا وأشدها تفرّعا في الجذر اللغوي الواحد، وأحيانا نجد لفظا واحدا في الرسم له أكثر من خمسة معان حسب موضع استعماله، وفي مقابل هذا فإن اللسان العربي يضعف جيلا بعد جيل لكثرة الاختلاط بالأعاجم، ومن مظاهر هذا الضعف استغناء العرب عن كثير من الألفاظ العربية الفصيحة والبلغة.

مما لا شكّ فيه أن إعادة دمج الألفاظ المتروكة وتوظيفها في الكلام من جديد سيُنْعَشِ القاموس اللفظي للمتكلمين ويثري المعجم اللغوي عموما، وهذا الأمر منضبط بحدود وشروط ينبغي مراعاتها ليكون تفعيل الغريب إيجابيا ولا يكون من قبيل تعقيد الكلام.

خالد ضيو

ينتعش القاموس اللغوي أيضا بطريقة أخرى عند توظيف اللفظ غير المشهور، وذلك من خلال اختلاف العلماء في تحديد دلالة بعض الألفاظ الغريبة ومعانيها، فإن وجدنا لفظا غريبا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا، فإنّ تفسير واحد من العلماء لتلك اللفظة لا يجوز أن يُقطع به، وعلى الباحثين أن يصلوا إلى معرفة مجمل الأقوال التي وردت في تفسير هذا الغريب، فلا يجوز استنباط أحكام شرعية أو القطع في معاني ألفاظ الحديث إلا بعد الاطلاع على أقوال العلماء كافة (الخراط، (د.ت)، صفحة 81)، وهذا إثراء للقاموس العربي العميق.

2-3. جذب المتلقي ودعم رصيده اللغوي:

تنوع مواضع الإلقاء والتلقي وتختلف أحوالها بحسب طبيعة الحال والموضع والمستوى، ويستعمل الملقى أقصى ما يملك من وسائل اللغة لإيصال فكرته للمتلقي، فتختلف بذلك نسبة القبول والرضا حسب إمكانيات الأول في إقناع الثاني.

إن اجترار الأفكار وتكرار المفردات أمر غير نافع إلا إذا كان من باب التذكير، بالإضافة إلى أنه مملّ للنفس جالب لعدم اهتمام المتلقي.

إذا وظّف الملقى في تعابيره ألفاظا لم يعهد المتلقي سماعها، سيثير بذلك فضول وجدانه للانتباه عما يفهم ما يقول، وإن قولنا هذا لا يعني أن الملقى يشحن كلامه بالألفاظ الغريبة دون مراعاة لمستوى المتلقي؛ لا أبدا، فهذه سلبية أكبر، لكن المقصود أن يستغني عن بعض الألفاظ المألوفة ويأتي بمرادفات لها تكون أقل استعمالا مع إزالة غموضها، كأن يجعلها في سياق يدل على معناها مثلا، أو يشرحها إذا كان مستوى المتلقي يتطلب ذلك.

يؤثر توظيف الألفاظ الغريبة عن المتلقي وقليلة الاستعمال في بيئته على رصيده اللغوي، بحيث يعلم بأن قاموسه الخاص ضئيل جدا وعليه أن يقويه أكثر

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالسَّامَةِ

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الملقى قد شرع في دعم رصيد المتلقي وهذا له عدة آثار على فئات المتلقين باختلاف مستوياتهم، ويمكن تفصيل ذلك كالآتي:

1-2-3. المتلقي العامي:

يجب على من يلقي خطابا للعوام أن يراعي مستواهم، ولكن هذا لا يعني أن ينزل بمستوى الخطاب حتى يفرغ من قيمته البلاغية، فإن قوة الخطاب في بلاغته، ونضرب مثالا على ذلك خطبة الجمعة فهي أشهر خطاب متكرر الوقوع للعوام، فعلى الخطيب أن يجعل في خطبته شيئا من المصطلحات الراقية أو قليلة الاستعمال لأن ذلك الاستعمال يثير انتباه السامعين، وإذا رأى أن المصطلح يحتاج شرحا يشرح، وهذا الأمر سيكون له أثر إيجابي في نفوس المستمعين بكل تأكيد، حيث سيجذب انتباههم لفهم ما سمعوه، وينمي ثقافتهم الدينية التي ما جاؤوا إلا لأجلها، ويخرجهم من جوّ الروتين الذي يلتزمه بعض الخطباء قليلي البلاغة في الإلقاء.

2-2-3. المتلقي المتعلم:

المقصود بالمتعلم هو طالب العلم أو التلميذ الذي يكون في مرحلة التعلم، أو من تمكن من التعلم وحقق فيه درجة معينة، ويُمكن تقسيم هذا النوع من المتلقين إلى قسمين: هما:

أ/ التلميذ والطالب:

إن المعلم إذا أثرى قاموسه اللفظي في الإلقاء بجملته من الكلمات غير المعهودة لدى طلابه مع بيانها فإن ذلك سيكون حتما إضافة لهم إذا التزم فيه بالشروط الآتية:

- أن يكون مناسباً لمستواهم العمري والتعليمي.
- أن لا يكون من الغريب المستهجن لفظاً أو معنى.
- أن يقدمه مع شرح أو في سياق يناسبه ليدركوا معناه، ولا يشكل غموضاً.

خالد ضو

- أن لا يكون من قبيل التعالي والتعجيز.

وعليه فإن المعلم إذا قدم في كلامه شيئا من الغريب المقبول أو قليل الاستعمال فإن ذلك يعد توظيفا إيجابيا لجانب مهم من اللغة، يسهم في إثراء رصيد الطلاب من الجانب اللغوي، ويزيدهم فهما وإدراكا للمعاني.

ب/ القارئ والمُطالع:

يهتم كثير من المتعلمين بالجانب الثقافي فيقتنون الكتب المختلفة، ويقرؤون المجلات العلمية والثقافية، والقارئ حين يرغب بمطالعة كتاب فسيختاره إما عن طريق توصية سمعها، أو ذوق لمسه عند صاحبه، أو رغبة في التخصص، والكاتب الحاذق يزيد من جذب قارئه بتغيير ألفاظه وتجديد قاموسه، وانتقاء عباراته.

أول ما يجب أن يهتم به الكاتب هو العنوان؛ فينبغي أن يكون موجزا إيجازا غير مخل، وأن يكون مثيرا وجذابا بحيث يجذب القارئ إلى الإقبال على الباحث والبحث، والإفادة منهما (مناهج جامعة المدينة، (د.ت)، صفحة 213)، ومن الجاذبية أن يجعل الباحث في بحثه ألفاظا قليلة الاستعمال لتثير فضول الباحث ورغبته في فك معناها وإدراك مغزاها.

ومن باب المبادرة للتطبيق وترك التنظير فقد فعلتُ ما أدعو إليه في عنوان بحثي هذا، واستدعيتُ لفظ "السماجة" وهو لفظ غير مشهور، وقد وظفته لاعتبار آخر أيضا؛ وهو النغم الصوتي الذي يُحدثه مع لفظ "الحاجة"، فيكون لفت القارئ صوتاً ومعنى.

والسماجة من مادة (س م ج)، وهي مصدر سَمَجَ وسمَجَ، ويُقال أيضا: سُمُوجَةً (عمر وآخرون، 2008م، صفحة 1104/2)، وسمَج الشيء سماجةً أي لا ملاحه فيه (الفراهيدي، (د.ت)، صفحة 60/6)، ويُقال: هو سمج لمج، وسميج لميج، وقد سَمَّجه تسميجا إذا جعله سمجا (الأزهري، 2001م، صفحة 317/10)، وسمَج الشيء؛ أي: قبح فهو سَمَجٌ؛ مثل ضَخَم فهو ضَخَم، وسمَج؛

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ يَبْنِي الْحَاجَةَ وَالسَّمَاجَةَ

مثل خَشْنُ فهو خَشِنٌ، وسميحٌ، مثل قُبْحُ فهو قبيحٌ، واستسمحه: عدّه سَمِجًا.
(الجوهري، 1987م، صفحة 322/1)

وأما القول بأنه يجب الاحتراز في التعريف عن الألفاظ الغريبة الوحشية وعن المشترك والمجاز بلا قرينة ظاهرة، وعن كلّ لفظ غير ظاهر الدلالة على المقصود (التهانوي، 1996م، صفحة 485/1)، فإنّه يُمكن توجيه هذا القول إلى كون العنوان كله غريبا أو أغلب حدوده فلا يُدرك القارئ مغزاه، أما إذا استدعى فيه صاحبه لفظا أو لفظين وجعلها في موضع أحسن اختياره فسيستوقع القارئ مدلولهما ولو لم يتيقن منه، وهذا ما ينطبق على عنوان هذا البحث، حين وضعت "السماجة" موضع جدل مع "الحاجة".

بناءً على ما سبق ذكره في هذا العنصر يُمكن القول بأنّ استعمال الألفاظ الغريبة (يعني غير المشهورة كما ذكرنا في العنصر الأول)، والألفاظ قليلة الاستعمال يُسهم في المحافظة على المعجم اللغوي وحماية الكلمات من الاندثار والانغمار، كما أنه يُحدث أثرا حسنا في نفس المتلقي فيلفت انتباهه ويثير فضول معرفة معناه من جهة، ويُغني رصيده اللغوي والثقافي من جهة أخرى، ويكسبه إضافة لغوية وتنوعا لفظيا، كما أنّ هذا التصوير الإيجابي للظاهرة ليس على إطلاقه، فلا يسلم من صبغة السلبية إذا لم يكن ملتزما بالشروط، وسنُشير في العنصر الموالي إلى مظاهر السلبية في استعمال الألفاظ الغريبة وغير المشهورة.

4. مظاهر السماجة في استعمال الغريب:

يتراوح استعمال الألفاظ غير المشهورة بين الإيجاب والسلب وذلك حسب الغاية من استعمالها من جهة، وحسب الالتزام بشروط توظيفها من جهة أخرى، وقد ذكرنا في العنصر أعلاه مزايا استعمال الغريب وقيدناها بجملة من الضوابط، وعليه فإنّ من لم يلتزم بتلك الضوابط في توظيفه للغريب في كلامه فسيكون ذلك

خالد ضو

مظهرًا من مظاهر عدم البلاغة، وقبح التعبير واستثقاله عند المخاطب والمتلقي عموماً، وسنورد في هذا العنصر أبرز مظاهر هذا القبح.

4-1. استعمال الوحشي المستثقل من الألفاظ والمبالغة فيه:

قال الجاحظ واصفاً الطريقة المثلى للبلاغة: "أما أنا فلم أرقط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً، ولا ساقطاً سوقياً". (الجاحظ، 1423هـ، صفحة 130/1)

ينبغي للمتكلم والكااتب الابتعاد عن الألفاظ الغريبة المستوحشة واللغات الحوشية المستكرهة؛ وذلك لاستثقال النفوس لها وكراهتها في الأسماع والأذواق، ولذلك عيب على بعض الأدباء ارتكابهم الغرائب والنوادر والوحشيات في نظامهم، وقد بالغ البعض في النكير عليهم، وقيل في ذمهم (الفاسي، 1983م، صفحة 93):

لعن الله صنعة الشعر، ماذا	من صنوف الجهال فيها لقينا؟
يؤثرون الغريب منه على ما	كان سهلاً للسامعين مبينا
ويرون المحال شيئاً صحيحاً	وخسيس المقال شيئاً ثميناً
يجهلون الصواب منه، ولا يد	رون للجهل أنهم يجهلون
فهم عند من سوانا يلامو	ن، وفي الحق عندنا يعذرون
إنما الشعر ما تناسب في النظ	م، وإن كان في الصفات فنونا
فأتى بعضه يشاكل بعضاً	قد أقامت له الصدور المتونا
كل معنى أتاك منه على ما	تتمنى لو لم يكن أن يكونا
فتناهى عن البيان إلى أن	كاد حسناً يبين للناظرينا
فكان الألفاظ فيه وجوه	والمعاني ركن فيه عيوناً

وهذه الأبيات نسبها البعض المتأخرين والمعاصرين من أهل اللغة إلى ابن رشيق القيرواني (ت: 456هـ) (الفاسي، 1983م، صفحة 93؛ شيخو، 1913م،

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالسَّمَاجَةِ

صفحة 202/5)، غير أنها لأبي العباس الناشئ (ت:293هـ) على الراجح، وذلك لأن ابن رشيق نفسه في كتابه "العمدة" نسبها إليه (ابن رشيق، 1981م، الصفحات 114-113/2)، وأبو العباس الناشئ هو الشاعر المتكلم عبد الله بن مُحَمَّد، المعروف بابن شرشير الناشئ، وهو من أهل الأنبار، نزل بغداد وأقام بها مدة طويلة، ثم نزل إلى مصر وأقام بها بقية عمره، وله كتب ينقض فيها كتاب المنطق، وكان شاعراً، وكان يَقُول في خلاف كل معنى قالت فيه الشعراء، ومات سنة 293هـ (الخطيب البغدادي، 2002م، صفحة 297/11)

يذهب البعض انطلاقاً من حجة بيان الغريب للناس أو إظهار معرفته بالكلام إلى التعقيد والإغلاق والتعكير في الكلام، وذلك باستعمال الوحيثي، وشدة تعليق الكلام بعضه ببعض؛ حتى يستهم المعنى، ومن أمثلة ذلك ما أورده العسكري (ت:395هـ)؛ أن بعض الأمراء اعتلت أمه فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام؛ قال فيها: "صين امرؤ ورُعي، دعا لامرأة إنقحلة مقسئنة، قد مُنيت بأكل الطرموق؛ فأصاها من أجله الاستمصال، أن يمن الله عليها بالاطرغشاش، والابرغشاش"، (والطرموق هو الطين، والاستمصال: الإسهال، واطرغش، وابرغش: إذا أبلّ وبرأ)، فكان كل من قرأ رقعته دعا عليها، ولعنه ولعن أمه. (العسكري، 1419هـ، الصفحات 45-46)

استئناساً بما ذكر وتعضيداً له يُمكن القول بأن استدعاء مثل هاته الألفاظ الغريبة المستهجنة والتي تستثقلها النفس سينقّر المخاطب أو المتلقي ولو كان مقصد المتكلم حسناً في تنوع مصادر التعبير أو تنميقها، وحتى لا نقع في هذا المظهر السلبي يجب على من استدعى لفظاً غريباً غير مشهور أن يراعي مناسبة استدعائه ودقة الموضع مع وجود ما يزيل غموضه، والأهم من هذا كله أن يكون مُستحسن الصوت مقبولا.

خالد ضو

2-4. تعمّد التعجيز وعدم مراعاة المستوى:

ذكرنا في توظيف اللفظ غير المشهور أنه يجب أن يراعي مستوى المخاطب حتى يُحقّق إضافة، وبمفهوم المخالفة فإنّ إلقاء اللفظ غير المشهور إذا لم يراعي مستوى المتلقي فهو مظهر من مظاهر التعجيز، حيث إنه في هاته الحالة لا يُحقق ذلك اللفظ ولا التعبير كله الغاية الأولى منه وهي تصدير الأفكار.

وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي أنه إذا جمعنا بين هذا المظهر والمظهر الأول (استعمال الوحشي من الكلام) فإننا سنقيد ذلك بأن يكون الكلام مُستثقلا عند المخاطب في حاله وزمانه فلا يكون مناسبا لمستواه ويحمل معنى التعجيز، أما إذا كان المخاطب فهم الكلام فلا يُعدّ استعمال الغريب سماجةً في القول ولو شعرنا نحن بذلك، لأنّ الزمن تغير واللسان العربي لم يعد كما كان.

إثباتاً لما ذكرنا نورد حديث عمران بن حصين رضي الله عنه؛ أنه قال: قدم وفد بني نهد بن زيد فقام طهية بن أبي زهير النهدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أَتَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَوْرِي تِهَامَةَ عَلَى أَكْوَارِ الْمَيْسِ تَرْتَجِي بِنَا الْعَيْسُ، نَسْتَحْلِبُ الصَّبِيرَ، وَنَسْتَحِيلُ الرَّهَامَ، وَنَسْتَحِيلُ الْجَهَامَ مِنْ أَرْضِ غَائِلَةِ الْمُنْطَا، غَلِيظَةِ الْمُوطَا، قَدْ نَشَفَ الْمُدَّهْنُ، وَبَبَسَ الْجَعِثُنُ، وَسَقَطَ الْأُمْلُوجُ مِنَ الْبَكَازَةِ، وَمَاتَ الْعُسْلُوجُ، وَهَلَكَ الْهَدْيُ، وَمَاتَ الْوَدْيُ، بَرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْوَنَنِ وَالْعَنَنِ، وَمَا يُحْدِثُ الزَّمَنُ، فَمَا دَعَاةُ الْإِسْلَامِ وَشَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ مَا طَمَا الْبَحْرُ وَقَامَ تَعَاذُ، وَلَنَا نَعَمُّ هَمَلٌ أَغْفَالُ، لَا تَبِضُّ بِلَالٍ، وَوَقِيرٌ قَلِيلُ الرِّسْلِ كَثِيرُ الرِّسْلِ، أَصَابَنَا سَنَةٌ حَمْرَاءُ مُؤْزِلَةٌ لَيْسَ بِهِ عَلَلٌ وَلَا نَهَلٌ"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَحْضِهَا، وَمَخْضِهَا، وَمَذْقِهَا، وَقُوتِهَا، وَاحْبِسْ رَاعِيَهَا عَلَى الدَّثْرِ، وَيَانِعِ الثَّمَرُ، وَافْجُرْ لَهُمُ الثَّمِدَ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي الْوَلَدِ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ كَانَ مُؤْمِنًا، وَمَنْ آتَى الزَّكَاةَ لَمْ يَكُنْ غَافِلًا، مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ وَدَائِعُ الشِّرْكِ، وَوَضَائِعُ الْمُلْكِ، لَمْ يَكُنْ عَهْدٌ وَلَا

اِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَاظِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالسَّمَاجَةِ

مَوْعِدٌ وَلَا تَنَاقُلُ عَنِ الصَّلَاةِ، وَلَا نُلْطِطُ فِي الزَّكَاةِ، وَلَا نُلْجِدُ فِي الْحَيَاةِ، مَنْ أَقَرَّ بِالْإِسْلَامِ فَلَهُ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَمَنْ أَقَرَّ بِالْجِزْيَةِ فَعَلَيْهِ الرُّبُوءُ، وَلَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمَّةُ»، وكتب رسول الله مع طهية بن أبي زهير: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَنِي نَهْدٍ بْنِ زَيْدٍ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَأَمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، عَلَيْكُمْ فِي الْوُظَيْفَةِ وَالْفَرِيضَةِ، وَلَكُمْ الْعَارِضُ، وَالْفَرِيضُ، وَذُو الْعِنَانِ الرَّكُوبُ الصَّبِيسُ، لَا يُؤْكَلُ كُلُّكُمْ، وَلَا يُقَطَّعُ سَرَجُكُمْ، وَلَا يُحْبَسُ دَرَكُكُمْ، وَلَا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ، مَا لَمْ تُضْمِرِ الرِّمَاقَ، وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ». أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، الحديث رقم: 2040، وأخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة. (ابن الأعرابي، 1997م، الصفحات 959/3-960؛ ابن شبة، 1399هـ، صفحة 314/1)

إنَّ هذا الكلام الذي لا يكاد يعرف ولا يفهم، والذي نعهده نحن في زماننا وحشيا متوعرا لعدم استعماله، قد نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيثبت من هذا أن الوحشي والغريب من الكلام ليس معيبا من حيث ذاته، وإنما يعاب من حيث النسبة إلى الزمان وأهله، كما نعيبه نحن في هذا الزمان، ونطرحه ونكرهه ولا نستعمله، ومما لا نزاع فيه أنه كان مألوفا مستعملا بين البلغاء والفصحاء من قبل، وعلى ذلك فإنما يلام على استعمال الوحشي من الكلام الحضري؛ لأنه يتكلفه من الكتب، ويلتقطه من بطون الدفاتر، مع العناء والمشقة في تحصيله، ومن يدعي هذه الصناعة، يعتقد أن الكلام الفصيح هو الذي يعسر فهمه، ويبعد متناوله، وإذا رأى كلاما غامضا وحشيا يعجب منه، ويصفه بالفصاحة وهو بالعكس من ذلك (ابن الأثير الكاتب، الجامع الكبير، 1375هـ، الصفحات 45-46)، وإذا كان هذا قول ابن الأثير الكاتب (ت: 637هـ) في زمانه، فماذا نقول نحن في زماننا بعد أكثر من ثمانية قرون.

خالد ضو

من خلال المظهرين اللذين ورد ذكرهما نقول بأنّ الألفاظ الغريبة وقليلة الاستعمال إذا استثقلها السامع ووجد منها وحشية في التركيب أو نفورا في الصوت والمخرج، ولم تكن مناسبة لمستواه ولا زمانه فإنّ استدعاءها في التعبير سيكون سماجةً لا حاجة لها، أو يكون تعجيزًا أو تعقيدا أو تععيرا، وكل هاته المسميات سلبيات ينبغي تجنبها، ولا يتحقق هذا التجنب إلا إذا انضبط الأمر بما ورد في الشروط آنفا.

وكما أنه على الكاتب أن لا يضلل القارئ في متاهات الأفكار المجردة، ولا يستقصي بالتحليل والتتبع كلّ ما يجده، لما في ذلك من إضاعة للجهد والوقت، ولأنّ الإنسان إذا أدرك ما ينفع ويفيد فقد أفاد (المهدي، 2009م، صفحة 8)، كذلك الأمر بالنسبة لانتقاء الألفاظ، عليه أن يستعمل ما يناسب مستواه، وإذا وظّف الألفاظ غير المشهورة لدعم رصيده وإحياء استعمالها عليه أن يتقيد بما يُحقق مقصده، فالأمر إذا زاد على حده انقلب إلى ضده.

5. الخاتمة:

بفضل الله وفتحته وتوفيقه تم البحث، وفي ختامه نعرض جملة من النتائج معضّدة ببعض الاقتراحات، وذلك في الآتي:

1-5. النتائج:

1- الغريب من الألفاظ هو ما لم يفهم، أو ما قل استعماله، وتُرك إما تركا تاما أو شبه تام، وتتعدد أسباب الترك، وأهمها: كون اللفظ قليل الاستعمال حتى في زمن الفصحاء، غرابة اللفظ إما لقلّة استعماله أو لخصوصية بنائه، ووجود ألفاظ مرادفة أكثر شهرة واستعمالا.

2- الغاية من التعبير هي إيصال الأفكار المعبر عنها للمخاطب، وكلما كانت الألفاظ مشهورة ومعلومة المعنى أدّت معناها بشكل أدق، غير أنّ إعادة تفعيل الغريب في

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ يَبْنِي الْحَاجَةَ وَالسَّامَةَ

الكلام ليس أمراً سلبياً دائماً، بل له بعض المزايا إذا كان ضمن حدود معينة، وكان مفيداً حسن المنطق والمعنى.

3- استعمال الغريب وغير المشهور من الألفاظ أمر مطلوب إذا انضبط بجملة من الضوابط، حيث يُسهم في حفظ الكلمات من الاندثار والانغمار، كما أنه يحدث أثراً حسناً في نفس المتلقي فيلفت انتباهه ويثير فضوله من جهة، ويُعني رصيده اللغوي والثقافي من جهة أخرى.

4- حتى يكون توظيف الغريب وغير المشهور توظيفاً إيجابياً يجب أن يكون مناسباً لمستوى المتلقي العمري والتعليمي، وأن لا يكون من الغريب المستهجن لفظاً أو معنى، وأن يقدمه الملقى مع شرح أو في سياق يناسبه ليدرك معناه، ولا يكون غامضاً، وأن لا يكون من قبيل التعالي والتعجيز.

5- إذا وقع توظيف الغريب دون التزام بالضوابط المذكورة فسيكون ذلك مظهراً من مظاهر عدم البلاغة، وقبح التعبير واستثقاله عند المخاطب والمتلقي عموماً، ومن أبرز مظاهر هذا القبح: استعمال الوحشي المُستثقل من الألفاظ والمبالغة فيه، وتعتمد التعجيز وعدم مراعاة مستوى المتلقي.

6- الألفاظ الغريبة وقليلة الاستعمال إذا استثقلها السامع ووجد منها وحشية في التركيب أو نفوراً في الصوت والمخرج، ولم تكن مناسبة لمستواه ولا زمانه فإن استدعاءها في التعبير سيكون سماجاً لا حاجة لها، أو يكون تعجيزاً أو تعقيداً أو تقعيراً يُتجنب.

2-5. الاقتراحات:

1- توظيف المناهج الدراسية لجملة من المصطلحات غير المشهورة وقليلة الاستعمال مع شروحاتها وفق ما يناسب المستويات التعليمية، وذلك لإثراء القاموس اللغوي للتلاميذ والطلاب.

خالد ضيو

- 2- الالتماس من المعلمين والخطباء والكتاب أن يفعلوا إشارات لغوية إلى بعض الألفاظ المهجورة إذا كانت حسنة المبنى والمعنى، وذلك لإحياء استعمالها وحفظها.
- 3- إقامة الأيام الدراسية وتشجيع البحوث العلمية التي تغوص في مناقشة الألفاظ غير المشهورة، وبيان مواضع استعمالها حقيقة ومجازا.

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ يَنْبَغُ الْحَاجَةُ وَالسَّامَاةُ

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن الأثير الكاتب؛ أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، (1375هـ)، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي.
- 2- ابن الأثير الكاتب؛ أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد، (د.ت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 3- أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب.
- 4- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، (2001م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- 5- ابن الأعرابي؛ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي، (1997م)، معجم ابن الأعرابي، تحقيق وتخرّيج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، السعودية: دار ابن الجوزي.
- 6- التهانوي؛ محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي، (1996م)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، ترجمة الفارسية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- 7- الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، (1423هـ)، البيان والتبيين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- 8- الجوهري؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، (1987م)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين.

خالد ضو

9- حسين بن محمد المهدي، (2009م)، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، مراجعة: عبد الحميد محمد المهدي، دار الكتاب.

10- الخراط؛ أبو بلال أحمد بن محمد، منهج ابن الأثير الجزري في مصنفه "النهاية في غريب الحديث والأثر"، (د.ت)، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

11- الخطيب البغدادي؛ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (2002م)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

12- رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، (1913م)، مجاني الأدب في حقائق العرب، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.

13- ابن رشيقي؛ أبو علي الحسن بن رشيقي القيرواني الأزدي، (1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل.

14- الزمخشري؛ جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (1988م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.

15- ابن شبة؛ أبو زيد عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، (1399هـ)، تاريخ المدينة، تحقيق: فهد محمد شلتوت، جدة: طبع على نفقة حبيب محمود أحمد.

16- العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، (1419هـ)، الصناعتين؛ الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية.

17- الفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، (د.ت)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال.

إِسْتِعْمَالُ الْغَرِيبِ مِنَ الْأَلْفَافِ يَبْنِي الْحَاجَةَ وَالسَّامَةَ

- 18- محمد بن الطيب الفاسي، (1983م)، شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، تحقيق: علي حسين البواب (الكتاب جزء من رسالة دكتوراه: في فقه اللغة من كلية دارالعلوم بالقاهرة)، الرياض: دارالعلوم للطباعة والنشر.
- 19- مناهج جامعة المدينة العالمية، (د.ت)، أصول البحث الأدبي ومصادره، (مرحلة الماجستير)، جامعة المدينة العالمية، كود المادة: GARB5423.